زعيم الأمة

سعد زغلول

أسامة عبد الرحمن

مقدمة

فى مواقف معينة يحضر شخوص بعينهم، بما يمثلونه فى الذاكرة من معان، وما يبعثونه فى النفس من شجون، كأن تحضر الأم حين يشعر المرء مهما كبرت سنه وغمر الشيب رأسه بالحاجة إلى الحنان، أو أن يحضر صديق وفىّ غيّبه الموت، أو باعدت بينك وبينه الدنيا وشواغلها، فى لحظة تشعر فيها أن الوفاء صار بضاعة راكدة لا تجد من يشتريها، أو تمر بخيالك أطياف حب قديم خلت أنك نسيته، فإذا به ينعش قلبك ويداعب شغافه، ويمنحك طاقة هائلة وقدرة على الاستمرار فى الحياة.

هؤلاء الأشخاص يمثلون معانى بعينها، يجسدونها بشراً من لحم ودم، نسميهم الرموز ونخلع عليهم قداسة من نوع ما، خصوصاً إذا انطبقت دلالات القيمة الإنسانية التى يمثلونها على سيرتهم الشخصية، فصاروا هم بذواتهم قيما تمشى على الأرض. من هؤلاء السياسى الوطنى العظيم سعد زغلول أحد اهم الساعين لتحرير الأمة من الاحتلال الإنجليزى.

سعد زغلول باشا هو الزعيم القومي المصري، ومؤسس حزب الوفد، عانى من الاعتقال عام ١٨٨٢، والنفي عام ١٩١٩؛ بسبب قيامه بمحاولاتٍ لإنهاء الهيمنة الأجنبية علي مصر، وبعد تأسيسه لحزب الوفد عام ١٩١٩، أصبح رئيساً للوزراء عام ١٩٢٤.

إلّا أنّ معارضة بريطانيا العظمى والمحكمة المصرية سرعان ما أجبرته على الاستقالة، وقد ترأس البرلمان المصري في العام الأخير من حياته.

إنه جندى من آلاف الجنود الذين عانوا أشد المعاناة فى سبيل حرية أوطانهم.

أسامة عبد الرحمن

الباب الأول

الميلاد والنشأة

ولد سعد في قرية إبيانة التابعة لمركز فوة سابقاً مطوبس حالياً مديرية الغربية سابقاً محافظة كفر الشيخ حالياً وتضاربت الأنباء حول تاريخ ميلاده الحقيقي فمنهم من أشار إلى أنه ولد في يوليو ١٨٥٧ وآخرون قالوا يوليو ١٨٥٨ بينما وجد في سجلات شهادته التي حصل عليها في الحقوق أنه من مواليد يونيو ١٨٦٠كان والده وكان أبوه هو الشيخ إبراهيم زغلول عمدة القرية، وكانت والدته مريم بركات من الطبقة الأرستقراطية المالكة في القرية، وكباقي الأطفال في تلك الفترة، فقد بدأ سعد زغلول تعليمه الابتدائي في الكتّاب، وتعلم على يد الشيوخ فيها، حيث تعلم الكتابة، والقراءة، وحفظ القرآن الكريم، ولكن فى سن الخامسة توفي والده فنشأ يتيماً

تلقى تعليمه في الكُتاب ثم التحق بالأزهر عام ١٨٧٣ تعلم على يد السيد جمال الدين الأفغاني والشيخ محمد عبده والتف مثل الكثير من زملائه حول جمال الدين الأفغأنى، ثم عمل معه في الوقائع المصرية، ثم انتقل إلى وظيفة معاون بنظارة الداخلية لكنه فصل منها لاشتراكه في ثورة عرابى ثم اشتغل بالمحاماة لكنه قبض عليه عام ١٨٨٣ بتهمة الاشتراك في التنظيم الوطني المعروف بجمعية الانتقام.

في عام ١٩٠٧ كأن أحد المساهمين في وضع حجر الأساس لأنشاء الجامعة المصرية مع كل من : محمد عبده، ومحمد فريد، وقاسم أمين وتم انشاء الجامعة في قصر الجانكليس الجامعة الأمريكية حالياً وتم تعيين أحمد لطفي السيد كأول رئيس لها.

بعد أن تلقى تعليمه في كلية الحقوق المصرية في جامعة الأزهر في القاهرة،عمل في مجال الصحافة، ثمّ عُيّن قاضياً في محكمة الاستئناف عام ١٨٩٢، وفي عام ١٨٩٥ تزوج ابنة مصطفى فهمي باشا رئيس وزراء مصر، وأصبح وزيراً لوزارة التربية والتعليم عام ١٩٠٦، وظل وزيراً حتّى عام ١٩١٠، ثمّ أصبح وزيراً للعدل، وفي عام ١٩١٢ استقال من هذا المنصب بعد خلافٍ مع الخديوي عباس الثاني، ومكث وزيراً لمدّة ست سنوات، وكان قد خدم في سلسلةٍ من الحكومات التي تعاونت مع المحتلين البريطانيين؛ ونتيجة عمله مع المحتلين اعتبره القوميون المتطرفون خائناً، وفي عام ١٩١٢ تغير موقف زغلول، وانتخب عضواً في المجلس التشريعي، ثمّ أصبح نائباً لرئيسه عام ١٩١٣، وخلال عامٍ واحدٍ أعاد تأهيل نفسه في نظر القوميين من خلال انتقاداته للحكومة.

العائلة :

زوجة سعد، صفية زغلول تزوجها عام ١٨٩٥، وهي ابنة مصطفى فهمي باشا، وزيراً في مجلس الوزراء المصري ورئيس وزراء مصر مرتين، كانت ثائرة نسائية وكانت أيضا ناشطة سياسية.

وعن زواجه هناك روايات عن رفض أبوها مصطقى باشا فهمى لأن عائلته فلاحين صحيح عائلته غنية ويملكون ارتضى واسعة لكنهم فلاحيم ولم يقتنع مصطفى باشا فهمى الا بعد جلسة مع فاسم أمين شرح فيها للباشا رئيس الوزراء ما ينتظر سعد فى المستقبل

ولقد روت أم المصريين صفية هانم زغلول رواية عن يوم زواجها من الزعيم سعد باشا زغلول وقالت :عندما تقدم سعد لخطبتها كان حدثًا غريبًا وجديدًا على العائلة لأنها كانت مكونة من باكوات وباشوات وكان أصلهم تركي، كما أن والدها تدرج في المناصب إلى أن وصل إلى منصب رئيس وزراء مصر حينما تقدم سعد لخطبتها لما تقدم سعد لخطبتي كان حدث غريب وجديد على عيلتنا أصل أنا عيلتي عيلة بهوات وباشوات من حال المبتدا وأصلهم التركي ودمهم الأرستقراطي المأصل موروث من سابع جد والدي مصطفى باشا فهمي ده حكاية لوحده إتدرج ف المناصب لغاية ما وصل لمنصب رئيس وزراء مصر وكان في المنصب ده لما تقدم سعد لخطبتي.

وتوسط لسعد قاسم أمين الصديق المشترك بين العيلتين كلمة من هنا على كلمة من هنا الدماغ التركي لانت والفروق الطبقية المعقدة هانت ووافق مصطفى باشا على سعد الفلاح لما قاسم حكى له عن ماينتظره فى حياته ومستقبله من نجاح.

الباب الثانى

ثورة ١٩١٩

في ظل المعاملة القاسية التي عانى منها المصريون من قبل البريطانيين والأحكام العرفية التي صدرت بحق المصريين، ورغبة المصريين بالحصول على الاستقلال، قامت ثورة ١٩١٩ م التي تعتبر أول ثورة شعبية في أفريقيا وفي الشرق الأوسط على الاحتلال والا فقد سبقتها ثورة عرابى، تبعتها ثورة الهند وثورة العراق والمغرب وليبيا.

أما عن لماذا قامت الثورة ؟ فقد لاقت الجماهير الفقيرة ظلم واستغلال خلال أربع سنوات هي عمر الحرب العالمية الأولي ، ففي الريف كانت تصادَر ممتلكات الفلاحين من ماشية ومحصول لأجل المساهمة في تكاليف الحرب، كما حرصت السلطات العسكرية على إجبار الفلاحين على زراعة المحاصيل التي تتناسب مع متطلبات الحرب، وبيعها بأسعار قليلة وتم تجنيد مئات الآلاف من الفلاحين بشكل قسري للمشاركة في الحرب فيما سمي بفرقة العمل المصرية التي استخدمت في الأعمال المعاونة وراء خطوط القتال في سيناء وفلسطين والعراق وفرنسا وبلجيكا وغيرها.

نقصت السلع الأساسية بشكل حاد، وتدهورت الأوضاع المعيشية لكل من سكان الريف والمدن ، وشهدت مدينتي القاهرة والأسكندرية مظاهرات للعاطلين ومواكب للجائعين تطورت أحياناً إلى ممارسات عنيفة تمثلت في النهب والتخريب.

ولم تفلح إجراءات الحكومة لمواجهة الغلاء، مثل توزيع كميات من الخبز على سكان المدن أو محاولة ترحيل العمال العاطلين إلى قراهم، في التخفيف من حدة الأزمة ، كذلك تعرض العمال ونقاباتهم لهجوم بسبب إعلان الأحكام العرفية وإصدار القوانين التي تحرم التجمهر والإضراب.

اعتقال سعد:

خطرت للزعيم سعد زغلول فكرة تأليف الوفد المصري للدفاع عن قضية مصر سنة ١٩١٨م حيث دعا أصحابه إلى مسجد وصيف للتحدث فيما كان ينبغي عمله للبحث في المسألة المصرية بعد الهدنة بعد الحرب العالمية الأولى عام ١٨١٨ ، وتم تشكل الوفد المصري الذي ضم سعد زغلول ومصطفى النحاس ومكرم عبيد وعبد العزيز فهمي وعلي شعراوي وأحمد لطفي السيد وآخرين.. وأطلقوا على أنفسهم الوفد المصري.

وقام الوفد بجمع توقيعات من أصحاب الشأن بقصد إثبات صفتهم التمثيلية وجاء في الصيغة: نحن الموقعين على هذا قد أنبنا عنا حضرات: سعد زغلول و.. في أن يسعوا بالطرق السلمية المشروعة حيثما وجدوا للسعي سبيلاً في استقلال مصر تطبيقاً لمبادئ الحرية والعدل التي تنشر رايتها دولة بريطانيا العظمى.

ثم اعتقل سعد زغلول ونفي إلى جزيرة مالطة فى البحر المتوسط هو ومجموعة من رفاقه في ٨ مارس ١٩١٩م فانفجرت ثورة ١٩١٩م.

أحداث الثورة:

في اليوم التالي لاعتقال الزعيم الوطني المصري سعد زغلول وأعضاء الوفد، أشعل طلبة الجامعة في القاهرة شرارة المظاهرات وفي غضون يومين، امتد نطاق الاحتجاجات ليشمل جميع الطلبة بما فيهم طلبة الازهر وبعد أيام قليلة كانت الثورة قد اندلعت في جميع الأنحاء من قرى ومدن ففي القاهرة قام عمال الترام بإضراب مطالبين بزيادة الأجور وتخفيض ساعات العمل وغيرها ، وتم شل حركة الترام شللاً كاملاً ، تلى ذلك إضراب عمال السكك الحديدية، الذي جاء عقب قيام السلطات البريطانية بإلحاق بعض الجنود للتدريب بورش العنابر في بولاق للحلول محل العمال المصريين في حالة إضرابهم، مما عجّل بقرار العمال بالمشاركة في الأحداث.

ولم يكتف هؤلاء بإعلان الإضراب، بل قاموا بإتلاف محولات حركة القطارات وابتكروا عملية قطع خطوط السكك الحديدية التي أخذها عنهم الفلاحون وأصبحت أهم أسلحة الثورة.

وأضرب سائقو التاكسي وعمال البريد والكهرباء والجمارك ، تلى ذلك إضراب عمال المطابع وعمال الفنارات والورش الحكومية ومصلحة الجمارك بالاسكندرية.

ولم تتوقف احتجاجات المدن على المظاهرات وإضرابات العمال، بل قام السكان في الأحياء الفقيرة بحفر الخنادق لمواجهة القوات البريطانية وقوات الشرطة،وقامت الجماهير بالاعتداء على بعض المحلات التجارية وممتلكات الأجانب وتدمير مركبات الترام.

في حين قامت جماعات الفلاحين بقطع خطوط السكك الحديدية في قرى ومدن الوجهين القبلي والبحري، ومهاجمة أقسام البوليس في المدن ففي منيا القمح أغار الفلاحون من القرى المجاورة على مركز الشرطة وأطلقوا سراح المعتقلين ، وفي دمنهور قام الأهالي بالتظاهر وضرب رئيس المدينة بالأحذية وكادوا يقتلونه عندما وجه لهم الإهانات.

وفي الفيوم هاجم البدو القوات البريطاينة وقوات الشرطة عندما اعتدت هذه القوات على المتظاهرين وفي أسيوط قام الأهالي بالهجوم على قسم البوليس والاستيلاء على السلاح، ولم يفلح قصف المدينة بطائراتين في إجبارهم على التراجع ، أما في قرية دير مواس بالقرب من أسيوط، فهاجم الفلاحون قطاراً للجنود الانجليز ودارت معارك طاحنة بين الجانبين.

وعندما أرسل الانجليز سفينة مسلحة إلى أسيوط، هبط مئات الفلاحين إلى النيل مسلحين بالبنادق القديمة للاستيلاء على السفينة وعلي الجانب الآخر كان رد فعل القوات البريطانية من أفظع أعمال العنف الذي لاقاه المصريون في التاريخ الحديث، فمنذ الأيام الأولى كانت القوات البريطانية هي أول من أوقع الشهداء بين صفوف الطلبة أثناء المظاهرات السلمية في بداية الثورة.

وعقب انتشار قطع خطوط السكك الحديد، أصدرت السلطات بيانات تهدد بإعدام كل من يساهم في ذلك، وبحرق القرى المجاورة للخطوط التي يتم قطعها وتم تشكيل العديد من المحاكم العسكرية لمحاكمة المشاركين في الثورة ولم تتردد قوات الأمن في حصد الأرواح بشكل لم يختلف أحياناً عن المذابح، كما حدث في الفيوم عندما تم قتل أربعمائة من البدو في يوم واحد على أيدي القوات البريطانية وقوات الشرطة المصرية ولم تتردد القوات البريطانية في تنفيذ تهديداتها ضد القرى، كما حدث في قرى العزيزية والبدرشين والشباك وغيرها، حيث أُحرقت هذه القرى ونُهبت ممتلكات الفلاحين، وتم قتل وجلد الفلاحين واغتصاب عدد من النساء.

نهاية الثورة:

اضطرت إنجلترا الي عزل الحاكم البريطاني وأفرجت عن سعد زغلول وزملائه وعادوا من المنفي إلي مصر وسمحت إنجلترا للوفد المصري برئاسة سعد زغلول بالسفر إلي مؤتمر الصلح في باريس ، ليعرض عليه قضية استقلال مصر.

لم يستجب أعضاء مؤتمر الصلح بباريس لمطالب الوفد المصري فعاد المصريون إلي الثورة وازداد حماسهم ، وقاطع الشعب البضائع الإنجليزية ، فألقي الإنجليز القبض علي سعد زغلول مرة أخري ، و نفوه مرة أخري إلي جزيرة سيشل في المحيط الهندى ، فازدادت الثورة اشتعالاً وحاولت إنجلترا القضاء على الثورة بالقوة ، لكنها فشلت.

آراء في الثورة:

يعتبر الباحثون أن ثورة ١٩ ثورة نموذج من حيث قدرتها على استيعاب القوى الاجتماعية المختلفة وطرحها شعارات التف حولها الناس علي اختلاف مشاربهم وساعدت علي تحقيق الوحدة الوطنية.

وقد شقت ثورة ١٩ مجري الحركة الوطنية المصرية حول ثابتين سيادة الأمة بوجهيها الاستقلال والدستور والوحدة الوطنية بقاعدتيها المواطنة والعدالة الاجتماعية، فقد كان من اسهامات ثورة ١٩١٩ في مجال الوحدة الوطنية شعار الدين لله والوطن للجميع فمعني أن الدين لله والوطن للجميع حيث لا يستقيم مفهوم المواطنة دون أن تكون مصدر الحقوق والواجبات العامة بصرف النظر عن الدين .

وبحسب مختصين فقد وضعت ثورة ١٩١٩ دستوراً ديموقراطياً إلى حد كبير وقطعت أشواط على طريق المواطنة ، لكن خضوع مصر حينها للاحتلال البريطاني ولسيطرة كبار الرأسماليين والرأسمالية الأجنبية أجهض هذا التطور الديموقراطي.

يبدو أن الهجوم على زعماء الثورات المصرية الذين ترتبط أسماؤهم بمعانى البطولة والوطنية عند المصريين أصبحت موضة، فبعد هجوم يوسف زيدان على الزعيم أحمد عرابى، متهماً إياه بأنه سبب الاحتلال الإنجليزى لمصر

قام عاصم الدسوقى، أستاذ التاريخ الحديث بجامعة حلوان، بالهجوم على الزعيم سعد زغلول، قائد ثورة ١٩١٩والمعروف بزعيم الأمة، قائلاً إن سعد زغلول فضح نفسه واعتراف بممارسته للقمار فى مذكراته وتابع: سعد زغلول قال إن داء الخمر والقمار تمكن منه، وفى المنفى فى جزيرة مالطا كتب فى مذكراته، أن أعمال العنف فى ثورة ١٩١٩ أمور تضر بقضيتنا.

وللعلم فإن الهجوم على زغلول ليس جديداً، فقد قام العديد من المفكرين والمؤرخين بالهجوم عليه، فى مقابل آخرين أدباء وكتاب كبار رأوا فيه زعيم الأمة ورمز الوطنية.

وتعدد الهجوم على سعد زغلول، من خلال بعض الدراسات، كان بينها دراسة قدمها المؤرخ عبد الرحمن الرافعى، فى كتابه مصطفى كامل باعث الحركة الوطنية، حيث يرى الرافعى أن تعيين سعد زغلول وزيراً للمعارف، بعد حادثة دنشواى بأربعة أشهر، جاء فى مقترح من اللورد كرومر المندوب السامى البريطانى على مصر، باعتباره موالياً للإنجليز، وأن ذلك تم بناء على سياسة جديدة كانت تنوى الحكومة البريطانية القيام بها، بعد حادثة دنشواى، بتعيين مصريين فى مناصب كبرى، حتى تخفف من سخط الأمة.

أما الكاتب أنور الجندى، فاتهم زغلول عدة اتهامات من خلال كتابه رجال اختلف فيهم الرأى، حيث اتهمه بأنه قام بتجميد اللغة العربية، وأتاح الفرصة للغة الإنجليزية بوزارة المعارف، وأنه قام بالتعاون مع الأجانب، لإدخال الحضارة الغربية إلى مصر العربية، إضافة إلى قيامه بطباعة قانون كرومر المتعلق بمحاكمة الصحفيين والكتاب الوطنيين.

كما اتفق الجندى مع رواية عبد الرافعى حول علاقة اللورد كرومر بسعد زغلول، وذكر أن كرومر فى تقاريره السنوية كان حريصاً على أن يذكر أنه يعد جيلاً جديداً من الشباب المصرى المتفرنج الذى يعجب بالغرب ويحرص على التفاهم مع الاستعمار البريطانى وقبول العمل معهم، فى إشارة منه إلى سعد مستعينا بقول لكرومر كما أن سعد من تلاميذ محمد عبده وأتباعه الذين أطلق عليهم جيروند الحركة الوطنية المصرية، وكان برنامجهم تشجيع التعاون مع الأجانب لادخال الحضارة الغربية إلى مصر، الأمل الذى جعل كرومر يحصر فيهم أمله الوحيد فى قيام الوطنية المصرية.

الأنصار:

ومن الناحية الأخرى كان هناك العديد ممن رأوا فى سعد زغلول زعيم الأمة الوطنى الشجاع، ومنهم الأديب الكبير عباس محمود العقاد من خلال كتابه سعد زغلول زعيم الثورة، ومن العنوان يتبين موقف العقاد من سعد زغلول، حيث يقول سعد كان خير زعيم فى مصر، لأنه فلاح من أمة الفلاحين.

وحسبك أن تعمد إلى نموذج الفلاح المصرى فتضاعف ما فيه من خلائقه وعاداته وخصائص بيئته لترى أمامه سعداً ماثلاً فى عظمته المصرية، قائماً على مرتقى المثل الأعلى لتلك الخصائص القومية، وليست آية أفصح من هذه الآية على صدق النهضة السعدية وجريانها مع طبائع الأمور.

كما وصف العقاد سعد زغلول بأنه صاحب نهضة مصرية، وذلك لأنه استطاع أن يجمع بين أنصاره كل من الفقراء والعلية من أبناء الفلاحين، ويقول حول زعامة سعد زغلول مواقف الخطابة أو مواقف الزعامة لم تكن عند هذا الزعيم إلا تياراً جارفاً ينبعث من قرارة وجدانه، فيحتوى الحاضرين فى غمرته ويردهم إلى عنصرهم الأصيل، فيشعرون على البديهة أنهم وهذا الزعيم من موطن واحد فى الشعور وموطن واحد فى الإرادة، كما إنه كان صديق قاسم أمين واستطاع معه أن يقود حركة استقلال المرأة.

بينما قام الشاعر أبى المكارم الكاظمى بتأليف عدة أشعار فى كتاب معلقات الكاظمى فى علم مصر المفرد ورجل الشرف الأوحد سعد زغلول، يصف فيها الأخير برجل العلم المفرد، والواحد الناهض، والبطل الذى يقف عنده الإغراق فى نعوت البطولة.

أما الكاتب والأديب العالمى نجيب محفوظ، فدائماً ما كان يوضح من خلال كتاباته إعجابه بشخصية الزعيم الراحل مبدياً إعجابه الشديد وتأثره الأكبر به وبثورة ١٩، معتبراً أن زغلول وثورة ١٩ هما من أكبر دلائل الوطنية، مدافعاً عنه ومحاولاً أن يجلب الأعذار له فى كثير من الأحيان.

الباب الثالث

أعماله

كان نائبًا عن دائرتين من دوائر القاهرة، ثم فاز بمنصب الوكيل المنتخب للجمعية وبعد الحرب العالمية الأولى تزعم المعارضة في الجمعية التشريعية التي شكلت نواة جماعة الوفد فيما بعد وطالبت بالاستقلال والغاء الحماية.

عمله في المحاماة:

بعد خروجه من السّجن أسّس مكتباً للمُحاماة بالتعاون مع صديقه حسين صقر، لكنّهما اعتُقِلا عام ١٨٨٤م بتهمة تأسيس جماعة سريّة تحت مُسمى جماعة الانتقام، غرضها تحرير الوطن وطرد الإنجليز من الوظائف التي استولوا عليها، ونظراً لعدم توافر الأدلة الكافية تمّت تبرئتهما، ولكنّ لم يُفرَج عنهما إلا بعد إعلان الحكم بثلاثة أشهر.

استكمل عمله بالمُحاماة، وساهم في إعلاء شأن هذه المهنة بعد أن كانت موضع ازدراء في المُجتمع، وذلك بسبب تحلّيه بالأمانة والنّزاهة ورفضه الدّفاع عن الباطل أُنتخب عضواً في اللّجنة التي شكّلتها الحكومة لاستكمال إصلاح قانون العقوبات، وبسبب شهرته اختارته الأميرة نازلي فاضل وكيلاً لأعمالها، فبات مُقرّباً من مجلسها.

في عام ١٨٩٢م عرضت عليه الحكومة وظيفة نائب قاضٍ بمحكمة الاستئناف، وبالرّغم من أنّ الحصول على درجة علميّة لم يكن مُتطلّباً لهذه الوظيفة، إلا أن سعد زغلول عزم على الحصول عليها

فدرس اللّغة الفرنسيّة في عام ١٨٩٢م، والتحق بجامعة باريس عام ١٨٩٦م، وفي نفس العام تزوّج من صفيّة ابنة مصطفى فهمي باشا الذي كان رئيساً للنُظّار في حينها وتخرّج حاصلاً على ليسانس في الحقوق عام ١٨٩٧م.

استمرّ في سلك القضاء لمدّة أربعة عشر عاماً، فارتقى في عمله حتى وصل إلى رتبة المُستشار، وعمل عضواً ورئيساً في كلٍّ من دائرة الجنايات والجنح المُستأنفة، ودائرة الجنايات الكُبرى، كما عمل أيضاً في محكمة النّقض.

توليه الوزارة:

عُيّن مستشاراً لنظارة المعارف في عام ١٩٠٦، وكان ذا أثر واضح في العمليّة التعليميّة بمصر؛ إذ ساهم في إنشاء الجامعة المصريّة بالتّعاون مع كل من الشّيخ محمد عبده وقاسم أمين ومحمد فريد كما أنشأ مدرسةً للقضاء الشرعيّ، ورفع ميزانيّة التّعليم إلى أكثر من ضعفها، واهتمّ بمُحاربة الأميّة فقام بزيادة عدد الكتاتيب في القرى الصّغيرة، ورفع المعونة المُخصّصة لها لأكثر من الضعف، بالإضافة إلى عودة التعليم باللّغة العربيّة إلى بعض المواد ثم تولّى بعد ذلك وزارة الحقائيّة، إلا أنّ كثرة اصطدامه مع الاحتلال اضطرّه إلى تقديم استقالته.

تأسيس الوفد:

خلال الحرب العالميّة الأولى تلقّى الشّعب المصريّ سوء معاملة من الاحتلال الانجليزيّ؛ إذ أُجبِر الشّعب على التطوّع في خطوط القتال للمُحاربين في سيناء وبلجيكا وفلسطين والعراق وغيرها من الدّول، وتم أخذ العديد من أبناء المُزارعين للمشاركة في الحرب، كما أُجبر الفلاحون على زراعة محاصيل مُعيّنة تُناسب احتياجات الحروب، ممّا أدّى إلى البطالة والعنف بسبب الجوع، وبالرّغم من محاولات الحكومة لتوزيع الخبز والسلع إلا أنّ ذلك لم يجدي نفعاً.

فقامت فكرة الوفد على أساس الدّفاع عن قضايا المصريين في عام ١٩١٨م، وتمّ عقد العديد من اللّقاءات للبحث في الشأن المصريّ بعد الحرب العالميّة الأولى، فتأسّس حزب الوفد وضمّ العديد من الشخصيّات، كسعد باشا زغلول وعبد العزيز فهمي وعلي الشعراويّ، وقاموا بجمع التواقيع من أصحاب الشّأن تتضمّن توكيلهم بالإنابة عن المصريّين للسّعي بالطّرق السّلمية إلى تحقيق استقلال مصر. فأثار الموضوع غضب الاحتلال، واعتُقل سعد زغلول ونُفِي إلى جزيرة مالطة في البحر المُتوسّط مع مجموعة من أصدقائه، فعمل غيابه على إحداث الكثير من الاضطرابات، ممّا أدّى إلى قيام ثورة عام ١٩١٩م.

الجدول الزمني لأعمال سعد باشا:

١٨٥٧ يوليو: ولد لعائلة من الفلاحين من الطبقة المتوسطة في إبيانه في دلتا النيل.

سنوات الشباب: أكمل تعليمه في جامعة الأزهر الإسلامية في القاهرة، وكذلك في المدرسة المصرية للقانون.

١٨٩٢: عُين قاضيا في محكمة الاستئناف.

١٩٠٦: يصبح رأس وزارة التربية والتعليم.

- يشارك في تأسيس حزب الأمة، في الوقت التي كانت مجموعة معتدلة من المصريين تدعى المزيد للحصول على استقلال مصر من بريطانيا.

١٩١٠: عُين زغلول وزيراً للعدل.

١٩١٢: يستقيل من منصب وزير العدل بعد خلاف مع الخديوي عباس حلمي الثاني.

١٩١٢: تم انتخابه إلى الجمعية التشريعية.

١٩١٣: تم تعيينه نائباً لرئيس الجمعية التشريعية، وهو المنصب الذي يستخدم لانتقاد الحكومة.

١٩١٤-١٩١٨: خلال الحرب العالمية الأولى، فإن زغلول والعديد من أعضاء الجمعية من الجماعات الناشطة شكلت هيكلاً تشريعياً في جميع أنحاء مصر أدت الحرب العالمية الأولى إلى الكثير من الصعاب على السكان المصريين، بسبب العديد من القيود البريطانية.

١٣ نوفمبر ١٩١٨: مع نهاية الحرب العالمية الأولى، فإن زغلول واثنين آخرين من أعضاء سابقين من المجلس التشريعي دعوا المفوض السامي البريطاني، للسؤال عن الغاء الحماية البريطانية يسألون أيضاً أن يكون لمصر ممثلين في مفاوضات السلام بعد الحرب ولكن تم رفض هذه المطالب، فما كان من أنصار زغلول، وهي مجموعة تعرف الآن باسم الوفد، إلا أن أصبحت تحرض على الفوضى في جميع أنحاء البلاد.

١٩١٩ مارس: زغلول وثلاثة أعضاء آخرين من الوفد تم نفيهم إلى مالطة لكن سرعان ماتم إطلاق سراح سعد وبعد ذلك عين الجنرال إدموند اللنبي وتولى منصب المفوض السامي لمصر وسافر سعد إلى باريس، فرنسا في محاولة لتقديم روايته للحالة المصرية إلى ممثلي الدول الحليفة، ولكن دون نجاح يذكر.

١٩٢٠: زغلول عقد عدة لقاءات مع وزير المستعمرات البريطاني، اللورد ميلنر وتوصل إلى تفاهم معه، ولكن زغلول كان غير متأكد من رد فعل المصريين تجاه هذا التفاهم وكيف سوف يستوعبون أنه يصوغ اتفاقاً مع البريطانيين، لذلك فضل أن ينسحب.

١٩٢١: استخدم زغلول أنصاره لعرقلة تشكيل الحكومة، ثم رد اللورد اللنبي على محاولات سعد لعرقلة تشكيل الحكومة، بترحيله إلى جزر سيشل في المحيط الهندي.

١٩٢٢ فبراير: حصلت مصر على استقلال محدود، وفقاً لتوصيات اللورد ميلنر، حيث تم إبرام هذا من خلال المحادثات مع زغلول.

١٩٢٣: السماح لزغلول بالعودة إلى مصر.

١٩٢٤:

أ. فبراير: أصبح زغلول رئيساً للوزراء بعد أن فاز الوفد ب ٩٠٪ من مقاعد البرلمان في الانتخابات.

ب. أثبت سعد زغلول من التجارب أنه قادر على وقف المظاهرات وأعمال الشغب بين المصريين.

جـ. نوفمبر: وقعت حادثة اغتيال السير لي ستاك قائد الجيش المصري وحاكم السودان، واتخذتها سلطات الاحتلال البريطاني ذريعة للضغط علي الحكومة المصرية، حيث وجهت إنذاراً لوزارة سعد زغلول تطالب فيه بعدة مطالب كان الهدف الأساس منه إبعاد مصر عن السودان، فقامت القوات الإنجليزية بإجلاء وحدات الجيش المصري بالقوة من السودان، فتقدم سعد زغلول باستقالته.

١٩٢٦: زغلول يصبح رئيساً للبرلمان، وهذا المنصب يمكنهُ من السيطرة على تصرفات المتطرفين القوميين.

٢٣ أغسطس ١٩٢٧: وفاة زغلول في القاهرة.

بدأت حياة سعد زغلول السياسية في عام ١٨٨١م، وذلك عندما قام بالخروج للمشاركة في الثورة العربية، أو كما يطلق عليها اسم ثورة عرابي، كما قام عام ١٨٨٣م عندما كان عمره ٢٤ سنة بالمشاركة في جمعية الانتقام المصرية و تمّ سجنه على إثرها لمدّة ثلاثة شهور، وعندما خرج من السجن عاد لممارسة المحاماة، وقد كان مقرباً من الأميرة نازلي التي تميزت بصالونها الثقافي الذي جمعت فيه العديد من المثقفين والمفكرين العرب والأجانب، وقد كان هذا المكان الذي تعرّف فيه سعد زغلول على بعض المفكرين الإنجليز، وتعلم اللغة الإنجليزية، ومن ثم أراد أن يزيد من ثقافته، فتعلم اللغة الفرنسية، وأصبح بعدها وكيلاً للنيابة ونائباً للقاضي في عام ١٨٩٢م، ومن ثم انضم إلى فئة المنارالسياسي، التي تضمّ مختلف الأدباء والسياسيين والعلماء ورجال الدين وغيرهم، وأصبح ناظراً للمعارف والحقانية في عام ١٩٠٦ و١٩١٠م على التوالي.

تسبب نفى زغلول في الاضطرابات في مصر ، مما أدى في نهاية المطاف إلى الثورة المصرية في عام ١٩١٩ ولدى عودته من المنفى، قاد زغلول القوى الوطنية المصرية حتى إجراء الانتخابات في ١٢ يناير ١٩٢٤ حيث أدت إلى فوز حزب الوفد بأغلبية ساحقة

وبعد ذلك بأسبوعين، شكلت حكومة الوفد برئاسة سعد زغلول كما كتب PJ Vatikiotis في تاريخ مصر الحديث (الطبعه٤ ، ص ٢٧٩ وما يليها).

الجماهير تعتبر زغلول الزعيم الوطني، وزعيم الأمة، البطل القومي المتشدد وقد فقد خصومه مصداقيتهم على حد سواء كما أنهم تضائلوا في أعين الجماهير ولكنه أيضا قد حان أخيرا أوان إعتلاؤه السلطة ويعود ذلك جزئياً إلى أنه تحالف مع مجموعة القصر حيث قبلوا ضمنياً الشروط التي تنظم حماية المصالح البريطانية في مصر.

في أعقاب اغتيال السير لي ستاك ، سردار والحاكم العام للسودان، في ١٩ نوفمبر ١٩٢٤ اتخذتها سلطات الاحتلال البريطاني ذريعة للضغط علي الحكومة المصرية حيث وجه اللورد اللنبي إنذاراً لوزارة سعد زغلول يطالب فيه:

أن تقدم الحكومة المصرية اعتذاراً عن هذه الجريمة.

تقديم مرتكبي هذه الجريمة والمحرضين عليها للمحاكمة والعقاب.

تقديم تعويضاً مقداره نصف مليون جنيه استيرليني للحكومة البريطانية.

أن تسحب القوات المصرية من السودان.

أن تقوم بزيادة مساحة الأراضي المزروعة قطناً في السودان.

كان الإنجليز يهدفون من هذا الإنذار إلى إبعاد مصر عن السودان لتنفرد بها بريطانيا ووضع السودان ومصر في تنافس اقتصادي على محصول القطن وظهور إنجلترا بمظهر المدافع عن مصالح السودان إزاء مصر وافق سعد زغلول علي النقاط الثلاثة الأولي ورفض الرابعة فقامت القوات الإنجليزية بإجلاء وحدات الجيش المصري بالقوة من السودان، فتقدم سعد زغلول باستقالته وقام الملك فؤاد بتكليف زيوار باشا برئاسة الوزارة كما قام بحل البرلمان ولكن نواب البرلمان اجتمعوا خارج البرلمان وقرروا التمسك بسعد زغلول في رئاسة الوزراء فقامت الحكومة البريطانية بإرسال قطع بحرية عسكرية قبالة شواطئ الإسكندرية في مظاهرة تهديد، لذلك قرر سعد زغلول التخلي عن فكرة رئاسة الوزراء حتي لا يعرض مصر لنكبة أخرى مثل ما حدث عام ١٨٨٢م. وتم قبول استقالته في ٢٤ نوفمبر سنة ١٩٢٤وخاض صراعاً مع الملك فؤاد وأحزاب الاقلية المتعاونة مع الملك دفاعاً عن الدستور، وتوج كفاحه بفوز حزب الوفد بالأغلبية البرلمانية مرة ثانية عام ٩٢٧ وانتخب سعد رئيساً لمجلس النواب حتي وفاته عام ١٩٢٧م .

أهم أعمال سعد زغلول:

عندما قامت الثّورة العُرابيّة شارك سعد زغلول فيها؛ فنادى بالجهاد الدينيّ، وعمد إلى نقل الرّسائل بين محمد عبده في القاهرة وعُرابي في مصر، وصار يُعَدّ من أنصار عرابي باشا، فكان من الطبيعيّ بعد ذلك أن يتعرّض للأذى ويخسر وظيفته، بالإضافة إلى دخوله السّجن.

ساهم في تأسيس الجامعة المصرية بالتعاون مع محمد عبده، قاسم أمين، ومحمد فريد.

أصبح زعيم جماعة الوفد التي طالبت بالحصول على الاستقلال وإلغاء الحماية البريطانية على مصر ١٩١٨م.

قاد الثورة المصرية في عام ١٩١٩م.

قام بتجميع أصدقائه وأنصاره لعرقلة تشكيل الحكومة المصرية، أدى ذلك إلى نفيه إلى جزيرة سيشيل ١٩٢١م.

تم تعيينه رئيساً للبرلمان المصري، الأمر الذي ساعده في فرض سيطرته ونشر النظام، وقمع المتطرفين القوميين.

كان لسعد زغلول العديد من الأنشطة التي أثرت في المجتمع المصريّ في العديد من النواحي السياسيّة، والاجتماعيّة، وحتّى التعليم، حيث بدأ نشاطه بانضمامه إلى الجناح العسكريّ لفئة المنار التي ضمّت العديد من الأدباء والسياسيين من مختلف الأحزاب، وكان له أثر في مجال التعليم، إذ كان أحد أهمّ مؤسسي الجامعة المصريّة وتولى رئاسة النادى الأهلى لكرة القدم،لفترة من الزمن.

تأسيس حزب الوفد حيث بدأ سعد زغلول في عام ألف وتسعمئة وثمانية عشر ميلادي بالتفكير في تأسيس حزب مصريّ يدافع عن قضايا بلاده ضدّ ظُلم الاحتلال الإنجليزيّ، فشكّل حزب الوفد المصريّ القائم حتّى يومنا هذا، كما جمع توقيعات من كبار الشخصيات في مصر ليُصبح الحزب رسمياً، وبعد أن تشكّل حزب الوفد المصريّ وبدأ نشاطه اعتقل الإنجليز سعد زغلول ومن معه، ثمّ نُفوا إلى جزيرة مالطا وذلك في الثامن من مارس عام ألف وتسعمئة وتسعة عشر، وكانت هذه بداية الثورة ضدّ الإنجليز، مما اضطّر الإنجليز إلى السماح لسعد زغول ورفاقه بالعودة إلى مصر، وقد عُقد مؤتمر للصُلح في باريس بعد اعتراف الإنجليز بحزب الوفد المصريّ، لكن هذا المؤتمر لم يُفلح في تغيير مطالب الشعب المصريّ، ممّا جعل المصريين يعودون للثورة، فاعتقل الإنجليز سعد زغلول بعد الثورة مرة أخرى، ثمّ نفي إلى جزيرة سيشل، لكنّ ثورة الشعب المصريّ لم تهدأ ولم تستطع إنجلترا إيقافها.

عاد سعد زغلول من المنفى مرة أخرى عام ألف وتسعمئة وثلاثة وعشرين، حيث رشّح نفسه في الانتخابات البرلمانيّة، واستطاع الفوز بمنصب رئاسة الوزراء، وبقي في المنصب لمدّة عام حتّى اغتيل السير لي ستاك قائد الجيش المصريّ والسودان آنذاك، فاستغلت إنجلترا الحادثة للضغط على الحكومة المصريّة، والتخلّص من سعد زغلول، وفرض سيطرتها على القطن المصريّ، ولهذا أجلت القوات البريطانيّة الجيش المصريّ من السودان، وهنا قدّم سعد زغلول استقالته من رئاسة الوزراء.

سعد زغلول علي كرسي الوزاره:

بعد مذبحة دنشواي أدرك الأنجليز أن سياستهم في مصر قد تعجل بخروجهم ، فكان عليهم أن يغيروا من سياستهم تجاه المصريين فحاولوا التقرب من المصريين والتودد إليهم من جديد حتي لا تؤدي مواقف التعنت إلي ثوره عارمه من المصريين ، وكانت هذه الرؤيه البريطانيه للوضع في مصر تحتاج إلي الأستعانه بمصريين لهم شعبيه كبيره لدي الجماهير المصريه وكان سعد زغلول واحداً من الأسماء التي فرضت نفسها علي الساحه الوطنيه المصريه ، فعرض الأنجليز عليه أن يتولي وزارة المعارف مؤيداً بإجماع جميع القوي الوطنيه في ذلك الوقت .

كان التعليم في مصر مهملاً منذ زمن بعيد فقد كان باللغة الأنجليزيه كما أن التعليم في مصر لم يكن يخرج إلا الموظفين ، وكانت وزارة المعارف يتحكم بها المستشار الأنجليزى دانلوب بينما كان الوزير غير مهتم بها نظراً لانها كانت تتبع وزارة الأشغال ، فكان الرجل الأنجليزي هو المتحكم فى وزارة المعارف يتصرف بها كما يشاء وقتما يشاء ، ولم يكن سعد بالطبع ليقبل أن يكون مجرد وزير لا حول له ولا قوه في الوزاره فكان الصدام بينه وبين دانلوب أمر متوقع وطبيعي وقد أدي هذا الصدام المتكرر والرغبه الواضحه لدي سعد في أن يطور وزارته ويعمل بها وفق خطه وطنيه لتحقيق تقدم فيها إلي أن تدخل اللورد كرومر.

الذي قال لسعد :إن التغير الذي حصل في شخص ناظر المعارف لم يكن يقصد منه تغيير طريقة التعليم التي تقررت بإتفاقي مع دانلوب ، وإنما الغرض منه أن يشترك الوطني العارف بالتربيه الإسلاميه المصريه في إدخال الإصلاح .

إن كل ما أراده الانجليز هو إصلاح شكلي يكون بمثابة المسكن والمخدر لجراح المصريين من بعض الأفعال الانجليزيه التي لم تكن مدروسه جيداً ، لكن سعد بشخصيته العنيده وروحه الثائره لم يكن ليقبل يوماً أن يكون جزء في مؤامره انجليزيه بأي شكل من الأشكال.

فقد عمل أثناء توليه الوزاره علي التوسع في تعيين المصريين وتقليل تعيين الأنجليز ، وعمل أيضاً علي زيادة مرتبات الموظفين ، كما خاض معركةُ لإعادة التعليم باللغه العربيه ، كما اهتم بمحاربة الأميه فتزايد عدد الكتاتيب في القري الصغيره وضاعف الإعانه المخصصه لها .

كانت أفعاله قد أغضبت اللورد كرومر بعد أن نجح في تهميش دانلوب بالحجة القانونية مره والحجه المنطقية آخري ، فقال له اللورد : إن دانلوب وإن لم تكن له سلطه ظاهريه يجب أن يكون في الحقيقه ذا سلطه ، وأن ما يحرر في مكتبه من الأمور الخاصه تحديداً بالأنجليز ،يجب أن يؤخذ كقضيه مُسلمه .

ومن المواقف الوطنيه لسعد وهو في وزارة المعارف يوم خروج طلاُب المدارس في تشيع جنازة مصطفي كامل ، غضب دانلوب وأراد معاقبة الطلاب ، ففصل بعضهم وحرم البعض الآخر من الامتحانات ، فرفض سعد وقال : إنها غاشيةُ حزن ألمت بالآمه بأسرها فلا يعقل أن ينأي عنها شُبانُ مصريون لمجرد كونهم طلاباً في مدارس أميريه .

قضي سعد أربع سنوات في وزارة المعارف منذ تولي أمورها في ٢٨ أكتوبر ١٩٠٦ ، محاولاً أن يصلح قدر ما يستطيع رغم الظروف الصعبه التي تقلد فيها الوزاه ، ولا ننسي أيضا إسهامه في بناء الجامعه قبل أن يصبح وزير فقد كان رأس الداعين لإنشاء الجامعه المصريه وتبرع لها بمائة جنيه .

وجاءت الفرصه لإبعاد سعد عن وزارة المعارف بعد اغتيال بطرس غالي رئيس الحكومه أوائل ١٩١٠ ، و دعوة محمد سعيد باشا لتشكيل الوزاره الجديده ، رغم أحقية سعد وأقدميته عهداً بالوزاره لكنه لم يكن محبوباً من الاحتلال ولا من قصر الخديوي ، ولكنهما اتفقا علي احتماله وزيراً للحقانيه التي رأيا فيها قيداً علي سعد واتقاء لصدماته لأن الحقانيه وزارة التشريع والقضاء ، فالتشريع من عمل مجلس الوزراء كله لا وزير الحقانيه وحده والقضاء عمل تتولاه المحاكم لا دخل فيه للوزير إلا الرقابه من بعيد لكن سعد كان لابد أن يترك أثراً في الموقع الذي يكون أو في المنصب الذي يتقلده فقد بدأ عمله بالحفاظ علي كرامة القاضي

وأيضاً اهتم بكرامة المحامين فأسس لهم نقابه تحميهم وتصون حقوقهم وقد انتصر لحرية الصحافه في ظل وجود قوانين المطبوعات فرفض تطبيقه على جريدة المسامير عندما طعنت طعناً فاحشاً علي رئيس أمريكا السابق روزفيلت عندما امتدح الاحتلال الإنجليزي لمصر، وأيضاً حينما أرادت الحكومه إلغاء جريدة البهلول بحجة أنها مُضره بالآداب وقف سعد معارضاً للقرار محاولاً تخفيفه ، كما وضع سعد مشروع المجلس الحسبي بغرض حفظ أموال القصر ويكون حائلاً دون العبث بها من طغيان القيمين والأوصياء .

وقد إستقال سعد من الوزاره بسبب رفضه محاكمة الزعيم محمد فريد بتهمة تحريضه علي الحكومه دون إستشارة سعد بوصفه وزيراً للحقانيه ، ويمتدح هنا أحمد لطفي السيد أستاذ الجيل ما قام به سعد فيقول : أنا من الذين ينتصرون لاستقالة الوزراء والموظفين إذا لم يستطيعوا أن يؤدوا واجبهم ، لأني أعتقد أن الوظيفه مهما يكن نوعها ضريبه علي الموظف لا منحه له ، فإذا عجز لأي سبب عن أن يؤدي إلي أمته أكثر ما يستطيع أداءه من خدمه حقوقها وتحقيق المباديء التي يعتقد صلاحها فالواجب عليه أن يستقيل وتكون استقالته مُشرفه لشخصه ، مشرفه لقومه ودرساً نافعاً للناس ومثلاً صالحاً للصدق والإخلاص في خدمة المجموع ، ويقول عن ما فعله سعد بشكل مباشر إن استقالته تعتبر استقاله للوزاره .

أما عن دوره في قضيه تحرير المرأه فقد ساند سعد زغلول كتاب تحرير المرأة وكاتبه قاسم أمين ، متحملاً كل التهم ضارباً عرض الحائط كل النصائح التي طالبت منه الابتعاد عن صاحب الدعوه التي ألبت عليه الملايين حفاظاً علي مستقبله ، كما سمح سعد لزوجته أن تتزعم الحركه الوطنيه خلال منفاه وتفتح بيتها في غيابه لزعماء الثوره وتخرج وتحتج وتزاول نشاطها السياسي والاجتماعي ، ولم يكن ليحدث ذلك لولا مساندة سعد لتحرير المرأة وتنوير المجتمع .

الباب الرابع

النـهاية

توفي سعد زغلول في ٢٣ أغسطس ١٩٢٧، ودفن في ضريح سعد المعروف ببيت الأمة الذي شيد عام ١٩٣١ ليدفن فيه زعيم أمة وقائد ثورة ضد الاحتلال الإنجليزي ثورة ١٩١٩ لكن فضلت حكومة عبدالخالق ثروت وأعضاء حزب الوفد الطراز الفرعوني حتى تتاح الفرصة لكافة المصريين والأجانب حتى لا يصطبغ الضريح بصبغة دينية يعوق محبي الزعيم المسيحيين والأجانب من زيارته ولأن المسلمين لم يتقبلوا الفن الفرعوني وكانوا يفضلون لو دفن في مقبرة داخل مسجد يطلق عليه اسمه فأهملوه حتى اتخذ عبد الرحيم شحاتة محافظ القاهرة قراراً بترميمه على نفقة المحافظة كما وضعه على الخريطة السياحية للعاصمة.

وكان سعد باشا زغلول أشترى الأرض المقام عليها الضريح عام ١٩٢٥م قبل وفاته بعامين ليقيم عليها نادياً سياسياً لحزب الوفد الذي أسسه ليكون مقراً بديلاً للنادي الذي استأجره كمقر للحزب في عمارة سافوي بميدان سليمان باشا وسط القاهرة وقامت حكومة زيوار باشا بإغلاقه، وهذه الأرض يطل عليها من بيته ومساحته ٤٨١٥ متراً مربعاً وكلف سعد زغلول باشا كل من فخري بك عبد النور وسينوت بك حنا عضوا الوفد بالتفاوض مع بنك أثينا وهو الجهة المالكة للأرض، ولكن حكومة زيوار أوعزت للبنك بعدم البيع عناداً لسعد زغلول حتى لا يستخدم الأرض في إقامة مقر لحزب سياسي.

ويوم ٢٣ أغسطس عام ١٩٢٧ اجتمعت الوزارة الجديدة في ذلك الوقت برئاسة عبد الخالق باشا ثروت وقررت تخليد ذكرى الزعيم سعد زغلول وبناء ضريح ضخم يضم جثمانه على أن تتحمل الحكومة جميع النفقات وبدأ تنفيذ المشروع ودفن سعد باشا في مقبرة مؤقتا بمدافن الامام الشافعي لحين اكتمال المبنى، كما أقامت حكومة عبد الخالق ثروت تمثالين له أحدهما بالقاهرة والآخر بالإسكندرية.

واكتمل هذا البناء في عهد وزارة إسماعيل باشا صدقي عام ١٩٣١ وكان من خصوم سعد زغلول فحاول جعل الضريح الضخم ليس لشخص واحد واقترح تحويل الضريح إلى مقبرة كبرى تضم رفات كل الساسة والعظماء ولكن صفية زغلول الملقبة بأم المصريين وزوجة سعد زغلول رفضت بشدة هذا الاقتراح وأصرت على أن يكون الضريح خاصاً بسعد فقط وفضلت أن يظل جثمانه في مقابر الامام الشافعي إلى أن تتغير الظروف السياسية وتسمح بنقله في احتفال يليق بمكانته التاريخية كزعيم للأمة.

وفي عام ١٩٣٦ تشكلت حكومة الوفد برئاسة مصطفي باشا النحاس وطلبت أم المصريين لنقل جثمان سعد باشا إلى ضريحه بشارع الفلكي الذي يطل عليه بيت الأمة وحدد النحاس باشا يوم ١٩ يونيو عام ١٩٣٦ للاحتفال بنقل رفات زعيم الأمة بعد أن ظل في مقبرة الامام الشافعي تسعة أعوام تقريباً

وفي اليوم السابق للاحتفال ذهب النحاس باشا مع بعض رفاق سعد زغلول إلى المقبرة سراً للاطمئنان على رفاته قبل نقلها ظناً منهما أنه ربما حدث أو يحدث شيئاً لرفاة زعيم الأمة، وكان معهما محمود فهمي النقراشي باشا ومحمد حنفي الطرزي باشا والمسئول عن مدافن الإمام الشافعي ولفوا جسد الزعيم الراحل في أقمشة حريرية ووضعوه في نعش جديد ووضعوا حراسة على المكان حتى حضر كل من أحمد باشا ماهر رئيس مجلس النواب ومحمود بك بسيوني رئيس مجلس الشيوخ في السادسة من صباح اليوم التالي ثم توالى الحاضرون إلى المقبرة من الوزراء والنواب والشيوخ وحمل النعش على عربة عسكرية تجرها ٨ خيول واخترق موكب الجنازة للمرة الثانية القاهرة من الامام الشافعي حتى وصل إلى موقع الضريح بشارع الفلكي وكان قد أقيم بجواره سرادق ضخم لاستقبال كبار رجال الدولة والمشيعين من أنصار سعد وألقى النحاس باشا كلمة مختارة في حب زعيم الأمة جددت أحزان الحاضرين ودمعت عيناه وبكت أم المصريين بكاء شديداً ونقلت صحافة مصر تفاصيل نقل الجثمان إلى الضريح وكتبت مجلة المصور تفاصيل نقل الجثمان تحت عنوان سعد يعود إلى ضريحه منتصراً وقد قام بتصميم الضريح على الطراز الفرعوني المهندس المعماري الراحل فهمي مؤمن كما أشرف على بنائه، وتقدر مساحة الضريح ٦٥٠ مترا ويرتفع حوالي ٢٦ متراً على أعمدة من الرخام الجرانيت وحوائطه من الحجر

وللضريح بابان أحدهما يطل على شارع منصور وهو من الخشب المكسو بالنحاس وارتفاعه ستة أمتار ونصف وهو نسخة طبق الأصل من الباب الآخر المطل على شارع الفلكي وتغطي حوائط المبنى من الخارج والداخل بطبقة من الرخام الجرانيت بارتفاع ٢٥٥ سم كما أن السلالم مكسوة أيضاً بنفس النوع من الرخام، ويحاط الضريح بدرابزين من النحاس والحديد والكريستال.

أعمال فنية وأدبية:

تناولت شخصيته بعدد من الأفلام والمسلسلات والأعمال الأدبية نذكر منها:

١- مسلسل العملاق سنة ١٩٧٩ عن عباس محمود العقاد بطولة محمود مرسي وقام بدور سعد زغلول الممثل حمدي غيث.

٢- فيلم البطل سنة ١٩٩٨ بطولة أحمد زكي وقام بدور سعد زغلول الممثل أحمد عبد الحليم.

٣- مسلسل طائر في العنق سنة ١٩٩٨ بطولة بوسي وقام بدور سعد زغلول الممثل حمدي غيث.

٤- مسلسل جمهورية زفتى سنة ١٩٩٨ عن مدينة زفتى بطولة ممدوح عبد العليم وقام بدور سعد زغلول الممثل حمدي غيث.

٥- مسلسل حواري وقصور سنة ٢٠٠١ من بطولة نبيل الحلفاوي الذي قام بدور سعد زغلول.

٦- مسلسل مصر الجديدة سنة ٢٠٠٤ عن قصة حياة هدى شعراوي بطولة فردوس عبد الحميد.. وقام بدور سعد زغلول الممثل أحمد خليل.

٧- مسلسل الملك فاروق سنة ٢٠٠٧ عن قصة حياة الملك فاروق الأول بطولة تيم الحسن وقام بدور سعد زغلول الممثل عبد الرحمن أبو زهرة.

٨- مسلسل مشرفة رجل لهذا الزمان سنة ٢٠١١ عن قصة حياة علي مصطفى مشرفة بطولة أحمد شاكر عبد اللطيف وقام بدور سعد زغلول الممثل خليل مرسي.

مواقف لسعد زغلول:

- يروي سعد في يوميات ٢٥ أكتوبر ١٩١٣ ملخص حديث دار بينه وبين المؤرخ الشيخ محمد الخضري عن التاريخ وعدالة الصحابة ، فيقول سعد هل الصحابة معصومون لا يُشَك في حديثهم ؟ فيجيب الخضري: إنهم ليسوا بمعصومين، ولكن لا يُشَك في صدقهم فيقول سعد : إني أريد بالعصمة الثقة في الرواية ! فيجيب الخضري : هم ثقاة ، فيرد سعد: ومن أين يكون لهم ذلك ، وقد كانوا يرتكبون الجرائم ويأتون الآثام كما يرويه المؤرخون؟ .

أقوال لسعد زغلول:

- الرجل بصراحته في القول وإخلاصه في العمل.
- أنا لا أستخدم نفوذ أي اسم كان للحصول على أية غاية كانت.
- مفيش فايدة.
- الحق فوق القوة والأمة فوق الحكومة.
- إن اختلاف الرأى لا يفسد للود قضية.

وبالنسبة لقوله مافيش فابدة فهناك تفسيرين:

١- أنه كان يقصد الوضع السياسي في مصر في مجمله آنذاك، وذلك هو التفسير الشائع.

٢- أنه كان يقول لزوجته ألا تعطيه مزيداً من الدواء لأنه لا يبدو وأنه يأتي بأي نتيجة واضحة، بل وأن حالته كانت تزداد سوءاً والرواية الثانية هي الأرجح ويقال أن الكاتب الصحفي الراحل حافظ محمود قد كتب عن هذا الموضوع، وأكد أن الرواية الثانية هي الأكثر صحة، وأن سعد زغلول لم ييأس أبداً من الوضع السياسي في مصر.

الباب الخامس
سعد فى عيون منتقديه

للاسف ينخدع الكثير من العامة في الكثير من الأسماء منها هذا الاسم فقد كان الهدف الأول للاستعمار هو تحويل حركات الجهاد الإسلامى ضد الاستعمار الصليبى إلى حركات وطنية، كما فعل سعد زغلول فى مصر.

تعلمت بريطانيا الدرس الذي لاقاه الفرنسين في مصر فعمدت إلي طمس الهوية الاسلامية للمصريين وكان للاسف هذا الاسم هو أحد أدواتها فسعد زغلول هو أول من حول الجهاد ضد الاستعمار الصليبي الانجليزي إلي حركة وطنية لا علاقة لها بالدين بل وتعانق الهلال مع الصليب وتناسي أو نسى أفعال النصاري المصريين ابان الحملة الفرنسية وعلي رأسهم المعلم يعقوب الذي ألان لفرنسا الصعيد بأكمله فقد كانت القضية واضحة لدي المسلمين وهي احتلال بلد صليبي لبلد مسلم وأكبر دليل هو قيام سليمان الحلبي وهو من سوريا بقتل كليبر لا لشئ الا لغيرته علي بلد مسلم أما حركة سعد زغلول فكانت ضد المحتل فقط فأزال جانباً هاماً من أفكار العامة

سعد زغلول هو المؤسس الأول لجامعة القاهرة وكان من أهم شروطها عدم التقيد بدين وعدم تدريس المناهج الاسلامية إلا في الكليات المتخصصة فكانت أكبر شوكة في جنب جامعة الأزهر الشريف وهذا هو أول أهداف مؤتمر التبشير الذي كان يحلم بانشاء جامعة علمانية علي نمط الجامعة الفرنسية من شأنها تقليل دور الأزهر فكان أيضاً لهم أداة في تنفيذ هذا الحلم الغالي .

لكن يحسب له للأمانه أنه أصر علي موقفه في التدريس باللغة العربية وهو الراعي الأول لحركة تحرير المرأة التي تزعمها قاسم أمين وزوجته هي أول من تسمت باسم زوجها تشبهاً بالغرب صفيه زغلول وهو أول من دعي الغرباء للجلوس في بيته مع نسائه في سابقة غريبة يذكرها مصطفي أمين في كتابه من واحد لعشرة متحدثاً عن واقع بيت سعد زغلول الذي كان إسلامياً ثم انتكس وتمت صناعته صناعة عصرية غربية تنويرية فيقول : كان غريباً في تلك الأيام أن يدعى رجل من غير أفراد الأسرة للجلوس على مائدة واحدة مع سيدات الأسرة، ولكن الفلاح الأزهري القديم سعد زغلول كان لا يجد غضاضة في أن يجلس أصدقاؤه المقربون مع أسرته لتناول الغداء والعشاء.

كما أن سعد زغلول هو من أزال النقاب عن وجه هدي شعراوي لما كانت في استقباله عائداً من المنفي وكان لا يفيق من الخمر وكانت زوجته أول مصرية تحضر الحفلات سافرة بين الرجال.

علاقة سعد بالإنجليز:

يقول عن اللورد كرومر: كان يجلس معى الساعة والساعتين ويحدثني في مسائل شتى كي أتنور منها فى حياتي السياسية والمعروف أن كرومر في تقاريره السنوية كان حريصاً على أن يذكر أنه يعد جيلاً جديداً من الشباب المصرى المتفرنج الذى يعجب بالغرب ويحرص على التفاهم مع الاحتلال البريطاني وقبول العمل معهم.

ومن هنا كانت صلة كرومر بسعد زغلول عن طريق صهره مصطفى فهمى الذى كان أول رئيس وزراء بعد الاحتلال، والذى قضى في الحكم ثلاثة عشر عاماً، وكان أثير الإنجليز محبوباً عندهم، وقد أصهر إليه سعد زغلول فأعد نفسه ليكون أول وزير مصري ولعل من الحقائق العجيبة أن اللورد كرومر عام ١٩٠٧م أعلن أنه يترك مصر مستريحاً لأنه أقام فعلاً القاعدة الأساسية لاستدامة الاحتلال، وكان فى هذا العام قد ألف حزب الأمة، وأصبح لطفي السيد هو حامل لواء الجريدة وسعد ناظر المعارف ، وقد سخر كرومر فى خطبة الوداع التى أقامها له رجال حزب الأمة من أولياء النفوذ الأجنبي من المصريين جميعاً، ولم يمدح فى خطابه إلا رجلا واحداً، هو سعد زغلول.

ومن هنا نجد سعد زغلول يكتب فى مذكراته أثر استعفاء كرومر من منصبه في ١٩٠٧/٤/١١ وكان يجلس في منزله مع كل من حسن باشا عاصم ومحمود باشا شكرى عندما تلقوا خبر الاستعفاء فقال: أما أنا فكنت كمن تقع ضربة شديدة على رأسه أو كمن وخز بآلة حادة فلم يشعر بألمها لشدة هولها وكتب في موضع آخر يقول: قد امتلأت رأسي أوهاماً وقلبى خفقاناً وصدري ضيقاً ويقول لورد كرومر في تقريره السنوي عن تعيين سعد زغلول ناظراً للمعارف لم يكن السبب الرئيسي في تعيينه كما يظن أحياناً أنه استياء من الحالة التى كانت تسير عليها مصلحة المعارف العمومية.

فلا زالت قاصرة عن أن توفر أية بادرة لتغير جذري في سياسة التعليم، إنه يرجع أساساً إلى الرغبة في ضم رجل قادر ومصري مستنير من تلك الطائفة الخاصة من المجتمع المعنية بالاصلاح في مصر وقال كرومر: كما أن سعد من تلاميذ محمد عبده وأتباعه الذين أطلق عليهم جيروند الحركة الوطنية المصرية، الذين كان برنامجهم تشجيع التعاون مع الأجانب لادخال الحضارة الغربية إلى مصر، الأمل الذى جعل كرومر يحصر فيهم أمله الوحيد في قيام الوطنية المصرية.

وكان سعد في مقدمة الداعين لإقامة حفل لتوديع اللورد كرومر وكتب في مذكراته يعلن ضيقه بالذين انتقدوا كرومر عقب استعفائه، وقال: إن صفاته قد اتفق الكل على كمالها ، وأشار إلى علاقة جورست خليفة كرومر به وأنه لما زاره قام فأوصله إلى باب حديقة دار الوكالة البريطانية .

أخلاقيات سعد:

وتكشف المذكرات أخلاقيات سعد ومواقفه المتعددة من الحياة الاجتماعية وأبرز هذه الجوانب علاقته بالقمار وقد كتب فيها طويلاً فقال في كنت أتردد بعد عودتي من أوروبا على الكلوب أي نادى محمد على فملت إلى لعب الورق، ويظهر أن هذا الميل كان بداية المرض فإني لم أقدر بعد ذلك أن أمنع نفسي من التردد على النادي ومن اللعب وبعد أن كان بقليل أصبح بكثير من النقود وخسرت فيه مبلغاً طائلاً

وقد بدأ ذلك حوالى ١٩٠١، فقد كتب في أبريل ١٩١٣، يقول: كنت قبل ١٢ سنة أكره القمار واحتقر المقامرين وأرى أن اللهو من سفه الأحلام واللاعبين من المجانين ثم رأيت نفسى لعبت وتهورت في اللعب وأتى عليّ زمان لم أشتغل إلا به ولم أفتكر إلا فيه ولم أعلم إلا له ولم أعاشر إلا أهله حتى خسرت فيه صحة وقوة ومالاً وثروة .

وكتب خلال زيارته لأوروبا صيف ١٩٠٨ أفطر مع الست والباشا أي مصطفى فهمي وحسين ابن محمود صدقي في الساعة تسعة وبعد أن نتمشى مع الباشا قليلاً نعود إلى البيت لتلعب البوكر مع الست وحسين إلى الساعة ثمانية ونتمشى قليلاً ثم نعود لنلعب البوكر إلى الساعة ١١ مساء وقد انفعل أثناء اللعب عند الخسارة وصادف أن الزهر كان يعاكس وكان زهر حسين سعيد ولكن مع ذلك كسبت ولم أخسر غير أن حارق كانت من طريقين: طريقي وطريق الست .

ويتساءل سعد عن الأسباب التى دفعته إلى المقامرة فيكتب ما يلى: أريد أن أعرف ما أريد حتى أتمكن من معالجة نفسي من هذا الداء، هل أريد بسطة في الرزق، أنه يقبضه في الكثير الغالب، هل أريد سعة في الجاه، أنه يضيقه بما يحط من القدر في نفوس الناس، هل أريد تناسي آلام تتردد على النفس عند خلوها من الشغل وهو كثير، لا أشعر بهذه الآلام، ويقول: ما كنت أصغى لنصائح زوجتي ولا أرق لتألمها من حالتى ولا أرعوى عن نفسى.

وأشار إلى توباته المتعددة، وعودته عنها فيقول: وقد يخيل لي أن كتابة هذه الخواطر وتسجيل هذه الواردات مما يساعد على الاستمرار في ارتكاب هذا الاثم، كأن النفس تجد في هذه الاعترافات المكتوبة والاشمئزازات المرسومة، فضيلة تكفها عن الإنصاف بها وعن الإقلاع عن نفس الرذيلة أو أن الاعتراف كفارة عن الذنب المقترف والجريمة المرتكبة ترجيحاً.

ويقول: إنى أوصى كل من يعيش بعدي من لهم شأن في شأني أني إذا مت من غير أن أترك اللعب أن لا يحتفلوا بجنازتي ولا يحدوا على ولا يجلسوا لقبول تعزية ولا يدفنوني بين أهلي وأقاربي وأصهاري، بل بعيداً عنهم وأن ينشروا على الناس ما كتبته في اللعب حتى يروا حالة من تمكنت في نفسه هذه الرذيلة وبئست العاقبة.

وتفيض مذكرات سعد زغلول بالتفاصيل المسهبة التى تبين مدى سيطرة هذه الغواية عليه ومحاولة الإقلاع عنها وللتخلص منها وعودته إليها المرة بعد المرة فقد وردت تفاصيل اضافية في كراسات مذكراته ٣ و ٢٨ و ٢٩ و ٣٠ في اثنى عشر موضعاً من هذه الكراسات.

وقد أشارت المذكرات بوضوح إلى أثر القمار في حياة سعد خاصة حياته الاقتصادية كما يشير إلى ذلك الدكتور عبد الخالق لا شين، فقد وقع سعد الذي يقتني الضياع الواسعة تحت طائلة ديون كثيرة مما دفعه عام ١٩١٠م إلى أن يبيع الضيعة التي اشتراها بناحية قرطسا بحيرة لقاء اثنى عشرة ألف جنيه:

يقول : بعت هذه الأطيان وذهب كل ثمنها أدراج الرياح فلم استفد منه فائدة كما باع الضيعة الأخرى بدسونس ومطوبس عام ١٩١٨ بمبلغ ١٦ ألف جنيه وضاعت كل إيرادات سعد في مدى عامين وكانت ٣٠٠٠ جنيه مرتب النار الوزير و١٥٠٠ جنيه إيجارات باقي أطيانه وأصبح مديناً بمبلغ ٦٥٥٠ جنيها وبذلك بدد سعد الكثير من ممتلكاته يقول في مذكراته ٢٥ مارس ١٩١٢: أصبحت منقبض الصدر، ضائق الذرع، ولم أنم ليلى بل بت تساورني الهموم والأحزان وأتنفس الصعداء على فرط منى من اللعب وضياع الأموال التى جمعتها بكد العمل وعرق الجبين وصيرورتي إلى حال سيئة وهكذا أجهز القمار على ثروته التى كونها من المحاماة وكانت لا تقل عن ٤٠٠ فدان و١٨ ألف جنيه فضلاً عما ورثه من صهره مصطفى فهمي: الذى كان يملك ٦٤٨ فداناً، و ٨٦٠٠ جنيه وألف أردب قمح وألفي جنيه مواشى وكانت صفية زغلول الى أطلق عليها أم المصريين واحدة من ثلاث بنات خلفها مصطفى فهمي جلاد شعب مصر ثلاثة عشر عاماً.

فهل هذا وحده ما تكشفه مذكرات سعد زغلول التى نطالب بطبعها وإذاعتها لترسم صورة حقيقية لهذه الزعامة التى اختلف فيها الرأى فرفعها بالهوى والصداقة والولاء السياسي لبعض الناس إلى قداسة وبطوله وخفضها آخرون بالخلاف السياسي إلى مكان آخر، وما نريد أن نظلم أحداً ولكنا نطالب بالكشف عن الحقائق عن طريق الوثائق

فلا يمكن أن توجد وثيقة أشد صدقاً من مذكرات كتبها الرجل عن نفسه ومن خلال المذكرات تتكشف أشياء كثيرة خطيرة ومثيرة.

أسمع الان أقوال مشايخ الازهر:

أبرز أحد مشايخ الأزهر الدور الكبير لسعد زغلول وخطورة ما فعله في تدمير المرأة المسلمة بتفصيل شديد لابد من مراجعته لأهميته، وأهمية هذه الحقبة الخطيرة من حياة الأمة، وتعرض في ثنايا ذلك إلى ثورة عام ١٩١٩ وبدايتها، وتحول طريقها من الخروج من الأزهر إلى تحويلها على يد سعد زغلول إلى ثورة وطنية ترفع راية تعانق الهلال مع الصليب، والشيخ بجوار القسيس، وهكذا وقصة:نزع النقاب من على وجه هدى شعراوي، وقصة: "ميدان التحرير بالإسماعيلية" التي كانت فيه مظاهرة النساء، وحقيقة سعد زغلول كزعيم ملهم، لمع وشهر؛ ليؤدي الدور المرسوم له بدقة، وتتبع أيضاً دور الشيخ محمد عبده وحقيقة دعوته هو والأفغاني في ميزان الإسلام. لقد كان سعد زغلول هو المنفذ الفعلي لأفكار قاسم أمين، ولا يقل تحمساً عنه في إفساد المرأة المسلمة، وذكر الدكتور محمد إسماعيل طرفاً من ردود العلماء، والشعراء على هذه الدعوة، والمواجهات التي ووجهت بها أمثال: محمد طلعت حرب، ومصطفى كامل، ومحمد فريد وجدي، وشيخ الإسلام مصطفى صبري، وعلماء الأزهر، وغيرهم ممن تصدى لهذه الحملة على المرأة المسلمة.

ثم ذكر دور الحرب الصليبية الحديثة والاحتلال في هذه الدعوة، ودور صفية زغلول، وهدى شعراوي وقصتها كاملة بتفاصيلها، ولقاءات هدى شعراوي بموسوليني وكمال أتاتورك، وأيضاً دور درية شفيق المرأة الغامضة تلميذة لطفي السيد التي ماتت منتحرة .

قالوا عنه:

يقول الشيخ سفر الحوالى فى كتاب العلمانية:

وقد كان من أهداف أعداء الإسلام ما أوصى به مؤتمر القاهرة التبشيري المنعقد سنة ١٩٠٦م، من وجوب إنشاء جامعة علمانية على نمط الجامعة الفرنسية لمناهضة الأزهر، والذي قالوا" :إنه يتهدد كنيسة المسيح بالخطر وقد قام الأذيال بتنفيذ المهمة، إذ أنه بعد انتهاء المؤتمر بسنتين- تقريباً -أسس سعد زغلول وأحمد لطفي السيد وزملاؤهم الجامعة المصرية، وكان النص الأول من شروط إنشائها هو: ألا تختص بجنس أو دين، بل تكون لجميع سكان مصر على اختلاف جنسياتهم وأديانهم، فتكون واسطة للألفة بينهم. وهذا الشرط الجائر في جامعة تقوم في بلد مسلم وعلى نفقات شعب مسلم انعكست آثاره على مناهج التعليم في الجامعة، فلم يكن من بينها شيء من علوم الإسلام ، وهكذا كان التعليم الجامعي الحديث علمانياً من البداية، وكان نتاجه تلك الجموع للغرب فكراً وسلوكاً، النافرة من دين آبائها وأجدادها.

ويقول الشيخ محمد قطب فى كتاب واقعنا المعاصر:

كان الهدف الأول :للاستعمار هو تحويل حركات الجهاد الإسلامى ضد الاستعمار الصليبى إلى حركات وطنية، كما فعل سعد زغلول فى مصر وغيره من الزعماء الوطنيين على اتساع العالم الإسلامى والحركة الوطنية تفترق عن حركة الجهاد الإسلامى بادئ ذى بدء فى أنها لا تنظر إلى العدو على أنه صليبى مستعمر ولكن على أنه مستعمر فقط وفرق واضح فى درجة العداء وطريقة المجاهدة بين أن يكون العدو منظوراً إليه على حقيقته، وبين أن يكون مغلفا برداء الاستعمار فحسب.

والهدف الثانى :هو تحويل حركات الجهاد الإسلامى إلى حركات سياسية عن طريق تحويلها إلى حركات وطنية فالعدو غير قادر على التفاهم مع الحركات الإسلامية: لأنه لا سبيل إلى التفاهم معها فى الحقيقة إلا بإخراج ذلك العدو خارج البلاد، ومن ثم فلا سبيل إلى استعمال السياسة من جانب العدو أما الحركات الوطنية فالتفاهم معها سهل وممكن! وعود من المستعمر بالجلاء، ويأتى الوقت الموعود فيتذرع المستعمر بشتى المعاذير لتأجيل جلائه، ويعطى وعوداً جديدة يعتذر عنها بدورها إذا جاء دورها.

والساسة الوطنيون يغضبون أو يتظاهرون بالغضب لإرضاء الجماهير والجماهير تثور ثورة صاخبة لكنها فارغة سرعان ما تنطفىء بعد الاستماع إلى خطبة رنانة من الزعيم الوطنى يعد فيها بأنه لن يفرط فى شبر من الأرض، ولم يرض بغير الجلاء التام أو الموت الزؤام وبين هذا وذاك تجرى مفاوضات بين السياسة والاستعمار تنتهى إلى أشياء تافهة يلعب بها الساسة على عقول الجماهير فيوهمونها أنها مكاسب وطنية وقد تنتهى إلى غير شئ على الإطلاق، ومع ذلك يقول زعيم يعتبر من كبار الزعماء الوطنيين فى العالم الإسلامى فى العصر الحديث وهو سعد زغلول: خسرنا المعاهدة وكسبنا صداقة الإنجليز ويقول الإنجليز خصوم شرفاء معقولون وهو شئ ما كان يمكن أن يحدث لو بقيت حركة الجهاد الإسلامية كما كانت فى مبدئها، ولم تتحول إلى حركة وطنية على يد الزعيم الكبير!

دوره فى حركة تحرير المرأة :يقول مؤلف كتاب واقعنا المعاصر:

أثار كتاب تحرير المرأة معارضة عنيفة جعلت قاسم أمين ينزوي في بيته خوفاً أو يأساً، ويعزم على نفض يده من الموضوع كله.

ولكن سعد زغلول شجعه وقال له أمض في طريقك وسوف أحميك.!

وفى الموسوعة الميسرة فى الأديان والمذاهب والأحزاب المعاصرة:

ومن دعاة الفكر الاعتزالي الحديث سعد زغلول الذي نادى بنزع الحجاب عن المرأة المصرية وقاسم أمين مؤلف كتاب تحرير المرأة والمرأة الجديدة، ولطفي السيد الذي أطلقوا عليه: أستاذ الجيل وطه حسين الذي أسموه عميد الأدب العربي "وهؤلاء كلهم أفضوا إلى ما قدموا هذا في البلاد العربية.

وفى نفس الموسوعة:

كتاب تحرير المرأة تأليف قاسم أمين، نشر عام ١٨٩٩م، بدعم من الشيخ محمد عبده وسعد زغلول، وأحمد لطفي السيد زعم فيه أن حجاب المرأة السائد ليس من الإسلام، وقال إن الدعوة إلى السفور ليست خروجاً على الدين.

وأول مرحلة للسفور كانت عندما دعا سعد زغلول النساء اللواتي يحضرن خطبه أن يزحن النقاب عن وجوههن وهو الذي نزع الحجاب عن وجه نور الهدى محمد سلطان التي اشتهرت باسم: هدى شعراوي التى كونت الاتحاد النسائي المصري وذلك عند استقباله في الإسكندرية بعد عودته من المنفى واتبعتها النساء فنزعن الحجاب بعد ذلك.

ويقول الشيخ سفر الحوالي فى كتابه العلمانية نشأتها وتطورها وآثارها في الحياة الإسلامية المعاصرة: يؤكد صلة سعد زغلول بالحركة النسائية سكرتيره في كتابه عن حياته، فقد ذكر أن سعداً هو الزعيم الحقيقي للحركة النسائية، مستشهداً بخطابه الذي ألقاه بمناسبة زيارة وفد مختلط من طلبة مدرسة الحقوق الفرنسية لمصر، ومنه :

إنني من أنصار تحرير المرأة ومن المقتنعين به، لأنه بغير هذا التحرير لا نستطيع بلوغ غايتنا، ويقيني بهذا ليس وليد اليوم بل هو قديم العهد، فقد شاركت منذ أمد بعيد صديقي المرحوم قاسم بك أمين في أفكاره التي ضمنها كتابه الذي أهداه لي -يريد كتاب المرأة الجديدة.
صفية زغلول

يقول الشيخ سفر الحوالي فى كتابه العلمانية نشأتها وتطورها وآثارها في الحياة الإسلامية المعاصرة يقول سكرتير سعد زغلول أن زوجة سعد كانت مثقفة ثقافة فرنسية، وأنه كان يمنحها الحرية الكاملة ويبدو من مسيرة زوجة سعد أنها أول زوجة زعيم سياسي عربي تقريباً تظهر معه سافرة في المحافل والصور، وتتسمى على الطريقة الغربية صفية زغلول، كما أنها أول من اتخذت بدعة لقب أم المصريين.

ويذكر الكاتب أن صفية زغلول هي الزعيمة النسائية الحقيقية، لكنها آثرت ألا تظهر ذلك، وأسندت هي وزوجها الأمر إلى هدى شعراوي التي عينها سعد رئيسة لجنة الوفد المركزية للسيدات غير أن سكرتير الزعيم يثبت دون أن يدري إدانة الزعيم والحركة النسائية وارتباطها بالاستعمار، وذلك في معرض حديثه عن صديقة سعد منيرة ثابت الملقبة الفتاة الثائرة وأول صحفية مصرية، فهو يقول كانت وزارة زيوار تضطهد الصحافة الوفدية وتغلق جرائدها واحدة بعد الأخرى، ولا تسمح لوفدي بأية رخصة جديدة، وعلى حين فجأة غابت الآنسة منيرة ثابت أياماً عن بيت الأمة، ثم عادت تحمل رخصتين لصحيفتين جديدتين باسم :الأمل ولسبوار أولاهما عربية سياسية أسبوعية، والثانية فرنسية سياسية يومية، وقدمتهما للرئيس سعد لتكون رهن تصرفه.

وفى كتاب العصرانية قنطرة العلمانية للشيخ الخراشى :

يقول الشيخ محمد بن إسماعيل المنفذ الفعلي لأفكار قاسم أمين وذلك بواسطة زوجته صفية التي كانت من أوائل المتحررات هو سعد زغلول.

وفى كتاب قاسم أمين تحرير المرأة ودعاة التحرير في هذا العصر للشيخ الخراشى:أما الدكتورة المتحررة آمال السبكي فترى في كتابها الحركة النسائية في مصر ما بين الثورتين (ص ١٤٢-١٤٣) أن صفية زغلول زوجة سعد زغلول هي أول من نزع الحجاب لما عادت مع زوجها من منفاه .

أهم المصادر والمراجع

١- سعد زغلول زعيم الثورة - عباس محمود العقاد .

٢- سعد باشا زغلول، ذاكرة مصر المعاصرة.

٣- مذكرات سعد زغلول - عبد العظيم رمضان .

٤- سعد زغلول مناضلاً وزعيماً - موقع حزب الوفد.

٥- معركة السفور والحجاب - محمد سرحان.

٦- رجال اختلف فيهم الرأي - أنور الجندي.

الفهرس